

الصحافة الشيوعية بالمغرب في ظل الاستعمار الفرنسي

جامع بيضا

كلية الآداب — الرباط

مقدمة

باديء ذي بدء، نشير إلى أن اختيار هذا الموضوع كمساهمة في تكريم روح أستاذنا جرمان عياش يرجع إلى سببين أساسيين :

الأول : إن عياش الذي كان إبان الفترة الاستعمارية عضوا نشيطا في صفوف الشبيبة الشيوعية، ثم عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المغربي، كان أيضا جنديا مجهولا تفتأ في خدمة صحافة الحزب دون أن تكون له فيها أية مسؤولية رسمية.

الثاني : إن الفقيه جرمان عياش كان دائما، بالنسبة لي، خلال أحاديث شيقة معه، نَعَم المشجع على مواصلة أبحاثي في هذا المجال الخصب الذي تشكله الصحافة ؛ وهو حقل كان المرحوم مقتنعا — وهو على حق في ذلك — أنه مازال بكراً ينتظر مجهودات الباحثين للتعريف به وسبر أغواره للإحاطة بجانب مهم من جوانب التاريخ المعاصر المغربي.

I — فترة ما بين الحربين العالميتين

1 — أسطورة «المؤامرة الشيوعية»

كانت ثورة الريف التحريرية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي قد جلبت إلى المغرب اهتمام الحزب الشيوعي الفرنسي الذي دعا، بواسطة صحافته ونوابه

في الجمعية الوطنية، إلى الاعتراف بجمهورية الريف وإلى التآخي بين الريفيين والجنود الفرنسيين ؛ كما حرض ساكنة فرنسا على عدم التضحية بالأموال ولا بالأرواح من أجل ما سماه بحرب «قدرة استعمارية وأمبريالية».

كان من شأن هذا الموقف أن تُنبّه المتحكمون في زمام الأمور بالمغرب إلى ضرورة اليقظة للحيلولة دون نشاط أية دعاية جديدة قد تهدد الهيمنة الفرنسية على البلاد. وكان ضمن الإجراءات التي اتخذتها السلطات تضيق الخناق على الصحافة المحلية ومنع كل المطبوعات الأجنبية التي تتناول تطورات الأوضاع بالمغرب من زاوية تخالف الرؤية الرسمية. وهكذا تم الوقوف في وجه عدد مهم من الصحف الأجنبية اختلفت مصادرها ولغاتها ومشاربها المذهبية. فإذا كانت الفترة الممتدة بين 1914 و1927 قد شهدت منع دخول 89 صحيفة، فإن المنع قد صدر في حق 62 منها فيما بين 1922 و1927 — بمعدل 14,8 جريدة كل سنة —، وذلك في سياق حرب الريف ونتائجها المباشرة.

ومن الجدير بالإشارة أن عدد الصحف الشيوعية ضمن هذا المجموع ليس بيسير. وإذا كنا لم نضبط بعد نسبتها المئوية بالمقارنة مع غيرها، فإننا نعطي هنا بعض الأمثلة عن الصحف الشيوعية التي أفلقت راحة الإدارة الإستعمارية في هذه الفترة. ونخص بالذكر تلك التي أصدرها الحزب الشيوعي بفرنسا مستهدفا بها التأثير على الأوضاع بشمال إفريقيا :

— **الْكَزِيرْنَا وَآلْفِيرِيكَا** : هما وجهان لصحيفة واحدة موجهة للعمال والجنود الشمال-إفريقيين. تم منعها بالمغرب بتاريخ 26 نونبر 1926.

— **العلم الأحمر** : ظهرت بباريس سنة 1926 «كجريدة عمال المستعمرات» وصدرت باللغة الفرنسية والعربية الدارجة. تم منعها بالمغرب في نفس سنة ظهورها.

— **البيرق الأحمر** : ظهرت في شتنبر 1926 بباريس لتحل محل العلم الأحمر المنوعة، لكنها لم تكن أكثر حظا.

— **اللواء الأحمر** : صدرت بباريس بالعربية والفرنسية. فمنعت بالمغرب بتاريخ 25 فبراير 1927.

— الراية الحمراء : صدرت هي الأخرى بباريس، فمنعت بالمغرب في 23 يوليوز 1927.

إن كل هذه الصحف، وغيرها قد تناولت، بأسلوب بسيط جدا، وأحيانا بالكاريكاتور، قضايا كفيلة بجلب اهتمام المغاربة ؛ نذكر منها :

- نداءات إلى الجنود المغاربة قصد القيام بحركة عصيان.
- ضرورة التضامن بين العمال المغاربة ونظرائهم الفرنسيين.
- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي يتخبط فيها الشعب المغربي.
- المطالبة بإقرار الحريات العامة بالمغرب.
- حق المستعمرات في الاستقلال، إلخ...

مع هذا، يجب ألا نتصور أن هذه الصحف، أو غيرها من الصحف الشيوعية الأجنبية، كانت منتشرة على نطاق واسع. فأعداد قليلة فقط تتمكن من اختراق جدار الرقابة لتصل إلى أيدي القراء المغاربة. ثم يجب أن نعلم أن صبغتها الشيوعية تثير أحيانا إزاءها نفورا من لدن نخبة مغربية متشعبة بالمشاعر الدينية.

لكن، مهما قل تأثير الصحافة الشيوعية الواردة من الخارج — خاصة إبان العشرينات والنصف الأول من الثلاثينات — فإنها زرعت جوا من الرعب في الأوساط الاستعمارية الحاكمة بالمغرب، الشيء الذي جعلها تُقدم على إصدار عشرات قرارات المنع في إطار ما سماه جاك لادرير دو لشاريير (Jacques Ladreit de Lacharrière) «بالدفاع عن الأمن الداخلي بالمغرب». فله مقال تحت هذا العنوان في مجلة *L'Afrique Française* سنة 1928، كما نشر في السنة الموالية كتيباً في نفس الموضوع تحت عنوان : «الشيوعية وشمال إفريقيا»⁽¹⁾.

لقد بلغ الأمر بمُصدري قرارات المنع درجة جعلهم فيها فرغهم يُفحمون ضمن لوائح الصحف الممنوعة حتى تلك التي يحول الحاجز اللغوي دون الاطلاع على فحواها، لامن طرف المغاربة ولا حتى من لدن السواد الأعظم من الفرنسيين. وكمثال على ذلك منع الجريدة البولونية *Pobudka* سنة 1934، مما أوحى إلى

(1) Ladreit de Lacharrière (J), *Le Communisme et l'Afrique du Nord*, Paris, 1929

La Voix Indigène الجزائرية بالتعليق على ذلك بنوع من التهكم اللاذع :

«[...] نظرا للشيوع الكبير الذي تتمتع به تلك اللغة الجميلة [البولونية] بين أهلنا، فقد تكون تلك الجريدة شكلت بالطبع خطرا شديدا على النفوذ الفرنسي بشمال إفريقيا»⁽²⁾.

ويظهر هذا الفزع أيضا في إقدام شخصيات مرموقة في الجهاز العسكري الفرنسي بالمغرب على نعت صحف فرنسية محلية بشيوعية، وهي بريئة من ذلك الاتهام، وذلك بمجرد أنها عبّرت عن آراء جريئة لا تساير السياسة الرسمية. فقد كتب الجنرال كوراب (Corap)، القائد الأعلى لقوات الاحتلال، يوم 14 أكتوبر 1935، في شأن *Le Journal de Meknès* :

«إن قراءة هذه الجريدة تبين بجلاء ليس فقط ميولا شيوعية أكيدة، ولكن أيضا نزوعا نحو اللاعسكرية [...]»⁽³⁾.

ونجد نفس العبارة بالحرف، يوم 25 أكتوبر 1935، تحت قلم شوقاليي (Chevalier) — أحد القادة العسكريين — في حق *La Dépêche de Fès* التي لا تنتمي، هي الأخرى، إلى التيار الشيوعي⁽⁴⁾.

من خلال هذه الأمثلة يتضح أن الخيطة من الدعاية الشيوعية قد تطورت لدى بعض الرسميين إلى فزع ربما غذته أطراف لها مصلحة في ذلك، وحق الحديث إذن عن «أسطورة المؤامرة الشيوعية» والتي شكلت قضية دومون (Dumont) إحدى حلقاتها الأكثر إثارة على الساحة المغربية.

تتلخص هذه القضية في إقدام السلطات على اعتقال ومحاكمة أحد ضباط الاحتياط، Jules Joseph Dumont، بتهمة ترويج الدعاية الشيوعية في الأوساط المغربية وتوزيع مطبوعات أجنبية ممنوعة مثل *l'Humanité* و «الشرق العربي». وقد أصدرت المحكمة العسكرية بمكناس حكما صارما في حق «دومون» يوم 15

La Voix Indigène, 6 décembre 1934 (2)

S.H.A.T., Vincennes, carton 3 H. 481 (3)

Ibid (4)

يناير 1935 ؛ إذ جُرد من كل أوسمته العسكرية كما تم حرمانه من إطاره كضابط احتياطي، ثم أُبعد عن المغرب.

حدث هذا في وقت انعدم فيه بالبلاد أي تنظيم سياسي أو نقابي شيوعي صرف، فكان سببا دفع بعض الأفراد المتعاطفين مع «دومون» إلى التجمع سرية بالدار البيضاء وإصدار منشور سري بعنوان *Le Maroc Rouge* (المغرب الأحمر) كناطق باسم «الحزب الشيوعي المغربي» الذي لم يكن له وجود فعلي في واقع الأمر. كان المنشور المذكور عبارة عن ورقتين مرقنتين ؛ وقد صدر منه عددان : الأول يوم فاتح فبراير 1935، والثاني يوم فاتح مارس من نفس السنة. وبمجرد صدور العدد الأول الحامل لـ «بيان الحزب الشيوعي المغربي»، انزعجت السلطات فسارعت إلى إصدار قرار بمنعه⁽⁵⁾ بتاريخ 19 فبراير 1935.

يتحدث ألبير عياش عن هذه المحاولة المبكرة لصحافة شيوعية محلية، فيقول : «إن تلك المنشور قد أحدثت آنذاك أثرا عميقا، ثم سقطت في طي النسيان. إنها تشكل تعبيرا أوليا لفكر شيوعي بالمغرب، وبذلك تكتسي قيمة تاريخية»⁽⁶⁾.

2 — البداية العلنية للصحافة الشيوعية

بوصول الجبهة الشعبية إلى سدة الحكم بفرنسا (ماي 1936) وبتعيين الجنرال نوغيس مقيما عاما بالرباط (أكتوبر 1936)، فُتح عهد جديد أمام شيوعي المغرب الذين أصبح باستطاعتهم أن يخرجوا من السرية أو من صفوف التنظيمات الاشتراكية التي كانوا قد التحقوا بها لأسباب ظرفية، كما أصبح بوسعهم أن يتحركوا علنا ويؤسسوا «الحزب الشيوعي بالمغرب» كفرع للحزب الشيوعي الفرنسي.

في إطار هذا الجو الجديد، تأسست بالدار البيضاء الجريدة الأسبوعية الناطقة باسم الحزب، وهي *Clarté* (صفاء)، وذلك في 19 دجنبر 1936. وقد اختير اسم «كلارطي» وفاء لروح الكاتب والمناضل الشيوعي الفرنسي Henri Barbusse

(5) *L'Afrique Française*, mai 1935, p. 292

(6) Ayache (Albert), *Le mouvement syndical au Maroc*, Tome 1, 1919-1942, Ed. L'Harmattan, Paris, 1982, p. 108.

الذي توفي بموسكو عام 1935 والذي كان قد أسس مجموعة فكرية ونضالية تحت ذلك الاسم.

منذ عدده الأول عبّر هذا المنبر الجديد، تحت قلم Marc Forclaude — وهو الاسم المستعار للمحامي الفرنسي ذي الأصل الجزائري ليون سلطان (Léon Sultan)⁽⁷⁾ — عن وجهة نظره إزاء مطالب الحركة الوطنية المغربية :

«إن حزبنا الشيوعي العظيم سيساهم بكل ما أوتي من قوة في تحرير الشعب المغربي في ظل القيادة الكريمة والأخوية للجمهورية الفرنسية. إنه صادق على برنامج المطالب المستعجلة للبروليتاريا المغربية [...]».

يمكن أن نلاحظ هنا كيف تجنب ليون سلطان الحديث الصريح عن الحركة الوطنية التي قدمت «دفتر المطالب المستعجلة» إلى الإقامة العامة في أكتوبر 1936. فبدلاً عنها، فضل الحديث عن «البروليتاريا».

ساهمت الصحيفة في المطالبة بتمتع المغاربة بالحريات العامة وبإصلاح الأجهزة الإدارية والعدلية والتعليمية، وبتحسين أحوال المستضعفين. وإلى جانب ذلك دأبت «كلارطي» على المطالبة بالسماح بترويج الصحف الشيوعية المتروبولية بالمغرب، مثل : *La Correspondance* و *l'Humanité* و *les Cahiers du Bolchevisme* و *La Défense* و *L'Internationale Communiste* و *Internationale* و *L'Avant-Garde* إلخ. ولاحظت أن استمرار منع القراء من الاطلاع على هذه المطبوعات شيء غير منطقي ؛ إذ يتناقض تماماً مع وجود الجبهة الشعبية في الحكم بفرنسا.

أما عن علاقة «كلارطي» بالمقيم العام نوغيس، فقد عبرت عن ثقتها فيه لأنه ممثل لحكومة ليون بلوم (Léon Blum)، لكنها في نفس الوقت أبدت تحفظها من

(7) محام يهودي من جنسية فرنسية. ولد بالقسنطينة (الجزائر) سنة 1905، وبدأ يمارس مهنة المحاماة بالدار البيضاء سنة 1929. عندما بدأ تطبيق قوانين فيشي بالمغرب، تخلّى عن منصبه كعضو في مجلس نقابة المحامين (40/10/22). شارك في معارك الحرب العالمية الثانية غداة عملية الإنزال الأنكلوساكسوني بشمال إفريقيا.

عندما تأسس الحزب الشيوعي بالمغرب في نونبر 1943، تقلد منصب كاتبه العام إلى أن توفي في يونيو 1945 بالدار البيضاء.

القوى المحيطة به، خاصة قوات الأمن التي اهتمتها بمشاعر العداوة الشديدة للمغاربة (Marocophobie) (8).

ولما أقدمت الإقامة العامة على إلغاء كتلة العمل الوطني (18 مارس 1937)، تردد الشيوعيون في التنديد بذلك، وانتظرت «كلارطي» مدة أسبوعين لتعبر عن اندهاشها لما حصل ! (3 أبريل 1937). أما عن رؤيتها المستقبلية لطموحات الوطنيين المغاربة، فالصحيفة الشيوعية ترى أن الحكمة تقتضي أن يلتحموا مع القوى التقدمية الفرنسية للوقوف في وجه الفاشستية التي تهدد الأنظمة الديمقراطية عبر العالم. لكن الوطنيين لم يكونوا يستسيغون مثل هذا المنطق، الشيء الذي جعل *L'Action Populaire* ترد بما يلي :

«المغاربة هم قبل كل شيء مغاربة: وبهذه الصفة، لا يمكنهم أن يفضلوا الممارسات القمعية للنظام الديمقراطي على الممارسات القمعية الصادرة من الديكتاتورية. فحتى ينضموا، غداً، إلى صفوفكم في نضال مشترك ضد الفاشستية، لابد من أن تتوقف أولاً الاضطهادات الفاشستية التي يُعانون منها اليوم» (9).

لم تستمر مسيرة «كلارطي» طويلاً؛ إذ توقفت في يوليو 1937 بعد أن تحولت إلى منبر يعكس آراء مجموعة شيوعيي الدار البيضاء — المعروفة باسم مجموعة «كلارطي» — أكثر مما كان يعكس تطلعات الخلايا الأخرى. ذلك أن نزعة جهوية قد دبّت في صفوف المناضلين الشيوعيين فأسفرت عن خلق تكتلات متنافسة في أكبر المراكز الحضرية، خاصة البيضاء والرباط ومكناس. ولتدارك هذا الأمر، تم استدعاء مؤتمر وحدوي بالرباط في أبريل 1938. وكان ضمن نتائجه تأسيس جريدة *L'Espoir* (الأمل) كناطقة باسم جميع شيوعيي المغرب. وقد استلهم عنوان هذه الصحيفة الجديدة، التي انطلقت في فاتح ماي 1938، من إحدى مؤلفات الكاتب الفرنسي André Mabroux (*L'Espoir*) المنشورة سنة 1937 للتنديد بالفاشستية الإسبانية.

(8) Clarté, 26 décembre 1936

(9) *L'Action Populaire*, 1^{er} mai 1937

من أبرز مسؤولي *L'Esprit* في هذه الفترة Maurice Rué و Jean Dresch. وكان هذا الأخير يسهر على ركن «المغاربة ونحن» حيث يتناول القضايا ذات الصبغة المغربية.

II — من بداية الحرب العالمية الثانية حتى الإعلان عن الاستقلال

1 — الصحافة الشيوعية تحت ضغط ظروف الحرب

بالرغم من ظروف القمع التي فرضها نوكتيس على المغرب في ظل تعليمات فيشي، وبالرغم من كون معظم منشطي الصحافة الشيوعية في فترة ما قبل الحرب قد تم اعتقالهم ونفيهم (مثل Maurice Rué الذي أبعده الإقامة العامة إلى بوذنيب لمدة عشرين شهراً)⁽¹⁰⁾... بالرغم من كل ذلك، فإنه تم إصدار صحف شيوعية سرية للتنديد بالأوضاع القائمة. وهكذا صدر حوالي عشرين عددا من جريدة *Libération* (التحرير) بين أكتوبر 1941 وشتنبر 1943 قبل أن يُسمح لها بالنشاط العلني ابتداء من 16 أكتوبر 1943.

تضاف إليها صحيفة *Al Watan* (الوطن) المنشورة بالفرنسية بالرغم من عنوانها العربي، والتي صدر منها عددان فقط :

— الأول يوم فاتح ماي 1942 بمناسبة عيد العمال.

— الثاني في أواخر نفس السنة.

وحسب علي يعة — الذي كان أحد محرري هذه الصحيفة السرية — فإن الوطن قد «طالبت بالاستقلال، وذلك لأول مرة بالمغرب، أي سنة ونصف قبل حزب الاستقلال»⁽¹¹⁾.

وهذا الاختيار السياسي، بالإضافة إلى العنوان العربي للجريدة، يكشفان عن التطور الداخلي في صفوف شيوعيي المغرب بحيث بدأ العنصر المغربي يفرض فيها

Cf. Jalée (Pierre), *L'ancre dans l'avenir. Mémoires d'un militant heureux*, Ed. Karthala, (10) Paris, 1981, 238 p.

Yata (Ali), *Presse démocratique au Maroc : bilan et difficultés*, Ed. Al-Bayane, Casablanca, (11) s.d., p. 15

أطروحاته التي تطفو أحيانا إلى السطح. وطبعاً، لم يكن هذا التطور ليروق السلطات الاستعمارية التي سارعت، غداة الإعلان عن تأسيس «الحزب الشيوعي المغربي» في 14 نونبر 1943، إلى تنبيه الشيوعيين الفرنسيين حتى لا يقبلوا أية عناصر مغربية في صفوفهم وحتى يمسكوا عن أي نشاط دعائي في الأوساط المغربية :

«إذا كان الحزب يريد أن يُرخص له كحزب شيوعي فرنسي، فإن عليه أن يمتنع عن أية عملية استقطاب وأية دعاية تستهدف المغاربة. وهكذا فعليه، في أعماله وفي دعايته، أن يتخلص من كل ما يتعلق بالمغاربة والقضايا المغربية»⁽¹²⁾.

وأخيراً نشير إلى صحيفة *Egalité* (مساواة) التي أصدرها الشيوعيون بالدار البيضاء في غشت 1943. وكانت، هي الأخرى، توزع سرية بسبب عدم الترخيص لها من طرف الإقامة العامة، وكان يُديرها «ليون سلطان» السالف الذكر⁽¹³⁾.

لم تتجاوز مسيرتها خمسة أعداد نظراً للمضايقات الرسمية. ولتغطية الفراغ الذي خلفه غياب صحافة شيوعية منتظمة، فإن المناضلين الشيوعيين قاموا بمجهودات كبرى لترويج جريدة *Liberté* (الحرية) التي كانت لسان حال رفاقهم بالجزائر. ومن أجل ذلك، كونوا جمعية أطلقوا عليها اسم «أصدقاء جريدة الحرية» (*Les amis de Liberté*).

تحسّنت أحوال شيوعيين المغرب شيئاً فشيئاً، وأصبح بإمكانهم إصدار *Libération* علنية ابتداء من أكتوبر 1943، ثم *L'Action Syndicale* في نفس التاريخ، ثم *Espoir* ابتداء من فبراير 1945.

في ظل هذا السياق الجديد، قدم الوطنيون المغاربة وثيقة المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944)، فكانت الصحافة الشيوعية، كغيرها مطالبة بتحديد موقفها.

Cité par Ayache (Albert), *Le mouvement syndical au Maroc*. Tome 2 : *La marocanisation* (12) (1943-1948), Ed. Wallada, Casablanca, p. 54.

(13) انظر الهامش رقم 7.

فلم تتردد من رمي الوطنيين باللائمة ؛ إذ اتهمتهم بزرع القلاقل والعمل ضد طموحات الشعب وضد الديمقراطية⁽¹⁴⁾.

أما المطلب الأساسي للوطنيين، أي الاستقلال، فقد كتب عنه مازيلا (Michel Mazella) ما يلي :

«هل استطاع شعار «الاستقلال أولا» أن يحقق بعض الرفاهية لسكان هذا البلد ؟ هل جعلهم يحصلون على الحقوق الديمقراطية الأساسية ؟ نقول : لا، العكس تماما هو الذي حصل. إن ذلك الشعار إنما يَسِّرُ لعبة رجال التروستات والفيوداليين والاستعماريين الذين وجدوا فيه ذريعة لبث الانقسام.

[سطران حذفتهما الرقابة].

فنحن نتساءل إذن : أليس هؤلاء المستفيدون هم الأصحاب الحقيقيون لذلك الشعار ؟»⁽¹⁵⁾.

يلاحظ أن هذا الاتجاه تنكر تماما لما جاء في صحيفة الوطن سنة 1943 من دعوة إلى الاستقلال، لكنه ينسجم تماما مع رؤية الحزب الشيوعي الفرنسي بالميتروبول. فهذا أحد مناضليه، Joany Berlioz يكتب في *Cahiers du Communisme* الصادرة بباريس (العدد 4، فبراير 1945) ما يلي :

«إن الحالة المؤلة التي يعيش فيها العرب والأمازيغ تعتبر، بالطبع، تربة صالحة للدعاية المناهضة لفرنسا والتي يقودها أولئك الذين يزعمون أنهم وطنيون. فهم يثرثرون حول «استقلال» أو حول قومية عربية يستحيل قبولهما، في ظل الوضعية الاقتصادية الحالية لشمال إفريقيا، إلا كجسر نحو هيمنة من نوع آخر.

لكن هذه الدعوة لا تجد استجابة إلا من لدن نخبة ضيقة مرتبطة بالفيودالية الإسلامية أو متأثرة بها»⁽¹⁶⁾.

(14) *Libération*, 21/1/44 et 22/1/44

(15) Michel Mazella dans *L'Espoir* du 5 août 1945

(16) Cité par Moneta, *La politique du P.C.F. et la question coloniale (1920-1963)*, ed. Maspero, Paris, 1971, p. 152-153.

لم تتمسك الصحافة الشيوعية طويلا بمثل هذا الموقف الذي لم يكن من شأنه إلا خلق هوة بينها وبين الأوساط الشعبية المغربية التي تسعى جاهدة إلى استقطابها. فابتداء من غشت 1946 ضمت هذه الصحافة صوتها إلى الأصوات الأخرى المطالبة بالاستقلال، وبذلك دشنت ما يمكن تسميته «بعهدا الوطني».

2 — العهد الوطني للصحافة الشيوعية بالمغرب (1946 — 1956)

بعد وفاة «ليون سلطان» في يونيو 1945، حل محله علي يعتة أميناً عاماً للحزب. ولم يلبث أن تغير اسم الحزب من «الحزب الشيوعي بالمغرب» إلى «الحزب الشيوعي المغربي». ولذلك دلالة كبرى في وقت أخذ فيه هذا التنظيم السياسي يتمغرب بسرعة على صعيد أطره وقاعدته (حوالي 30.000 منخرط مغربي).

وفي أوائل غشت 1946، خطا الحزب الشيوعي خطوة حاسمة في تاريخه عندما ضم صوته إلى التيارات الوطنية الأخرى المطالبة باستقلال البلاد. وكاعتراف بهذا التنظيم في حظيرة القوى الوطنية المغربية، فإن السلطان سيدي محمد بن يوسف استقبل رسمياً، في أواخر غشت 1946، ودون أن يكون ذلك برضى من الإقامة العامة، وفدا شيوعيا مشكلا من علي يعتة وأحمد بن المهدي وميشيل مازيلا. وقد تم تجديد هذه الثقة، في نونبر 1955، عندما استقبل السلطان بسان جرمان آن لاي Saint Germain-En-Laye وفدا يترأسه علي يعتة.

انعكس هذا التطور بشكل بارز على ما كانت تنشره جرائد الحزب مثل *Espoir* و *حياة الشعب* (التي كانت تصدر بالعربية بصفة سرية لعدم قبول السلطات الترخيص لها)، وكذا جرائد الاتحاد العام للنقابات التي مازال الشيوعيون يهيمنون عليه : *L'Action Syndicale* و *Le Petit Marocain* ⁽¹⁷⁾.

في سنة 1947، كان الاتحاد العام للنقابات مشكلا من المغاربة بنسبة $\frac{4}{5}$ ، ووعيا من الإدارة بذلك فقد سمحت لسان حاله *L'Action Syndicale*، ابتداء من

(17) ثم نُزِعَ جريدة *Le Petit Marocain* من صاحبها الأصلي ماص المتهم بالتعاون مع النازية. لكنه تمكن من إسترجاعها بعد بضعة أعوام.

مارس 1947، بتحرير جزء من صفحتها الأولى باللغة العربية. ومن الملاحظ أن مقالاتها، مثلها في ذلك مثل *Espoir* التي أصبح يديرها المغربي عبد السلام بورقية، تحمل أكثر من أي وقت مضى توقعات مغربية. كما يلاحظ أيضا أن الصحافة الشيوعية أخذت تعبر — على غير عاداتها — عن المشاعر الدينية للسواد الأعظم من الناس. وعلى سبيل المثال، فإن *Espoir* أعارت اهتماما خاصا للمناسبات الدينية الإسلامية وتحدثت عنها بكل وقار. ففي غشت 1945 نعتت شهر رمضان بأنه «عيد للعدالة والتضامن»⁽¹⁸⁾. وعند حلول عيد الفطر لسنة 1947، وجهت نفس الجريدة تهانينا للمسلمين على صدر صفحتها الأولى وباللغة العربية!⁽¹⁹⁾.

ومن جهة أخرى، فإن الصحافة الشيوعية ضمت صوتها إلى أولئك الوطنيين المطالبين بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية للبلاد.⁽²⁰⁾

دأبت الصحافة الشيوعية في هذه الفترة على مطالبة حزبي الاستقلال والشورى بتوحيد الجهود مع الشيوعيين في إطار «جبهة وطنية». لكن نداءاتها قوبلت بالرفض من طرف تلك القوى السياسية التي كانت تطعن في مغربية الحزب الشيوعي وتذكر بإلحاح بموقفه «اللاوطني» إبان أحداث يناير — فبراير 1944. وعندما تشكلت بطنجة في أبريل 1951 «الجبهة الوطنية المغربية»، فإن أعضاءها قد أصروا على إقصاء الحزب الشيوعي المغربي من هذا التنسيق.

بالرغم من هذا الإقصاء، استمرت الصحافة الشيوعية في خطها الوطني الذي دشنته منذ غشت 1946 ولعبت الدور المنوط بها في المعركة السياسية الهادفة إلى الانعتاق. وككل الصحف الوطنية، فإنها لم تفلت من مضايقات الرقابة التي تحجز بعض أعدادها وتبتر أخرى بحذف سطور ومقالات. وكمثال عن تلك المضايقات، فإن *Espoir* قد تعرضت للتوقيف مدة شهرين بسبب مقال نشرته يوم 30 مارس 1952 — ذكرى اتفاقية فاس لسنة 1912 — واعتبرته السلطات مخلا بالأمن العام. وفي دجنبر من نفس العام، عقب أحداث الدار البيضاء، منعت

Espoir, 12 août 1945, p. 1 (18)

Espoir, 17 août 1947 (19)

Espoir, 26 janvier 1947, p. 1 (20)

الصحافة الشيوعية، شأنها في ذلك شأن الصحف الوطنية الأخرى الصادرة بالمنطقة السلطانية. لكنها استمرت مع ذلك في الصدور سرّاً⁽²¹⁾، وبطريقة غير منتظمة، حتى عهد الاستقلال.

خاتمة

لما كانت مناسبة هذه المداخلة هي تكريم روح الفقيد جرمان عياش، فإننا ارتأينا في الختام أن نقبس من الصحافة الشيوعية المدروسة أعلاه هذه البطاقة التعريفية المتعلقة به والتي نشرتها *Espoir* منذ ما يقرب من نصف قرن :

- «— أستاذ مبرز في الآداب
- عضو في الحزب الشيوعي منذ 1936.
- ضحية قوانين فيشي ؛ إذ تم عزله من منصبه بثنائية ليوطي عام 1940.
- من قدماء المحاربين (حملات إيطاليا وفرنسا وألمانيا).
- وسام عسكري (Croix de Guerre).
- مناضل في السرية.
- عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المغربي»⁽²²⁾.

(21) يتعلق الأمر بـ «*Espoir*» و «حياة الشعب».

(22) *Espoir*, 2, décembre 1947, p. 1

